

العاشوريات

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.. وبعد :

فإن الناس قد اعتادوا في هذه الأيام العاشورية من المحرم من كل سنة ، على ذكر وقائع وحوادث اتفقت فيها ، كمصيبية الأمة بالحسين وآل البيت عليهم السلام ، وهي كما قال ابن العربي في (العواصم) : (فأردنا أن نظهر الأرض من خمر يزيد ، فأرقنا دم الحسين ، فجاءتنا مصيبية لا يجبرها سرور الدهر).

وقال : (فإن قيل : لو لم يكن ليزيد إلا قتله للحسين بن علي ، قلنا : يا أسفى على المصائب مرة ، ويَا أسفى على مصيبية الحسين ألف مرة ! بوله يجري على صدر النبي فلا يُغسل ، ودمه يراق على البوغاء ولا يُحقن ، يا الله ويَا للمسلمين) والبوغاء : التراب الرخو . ومثل ذكر بني أمية ومقاتل الطالبيين وغير ذلك مما يتصل بالمقام كحكم الأكل من طعام الشيعة الذي يقدمونه على روح الحسين عليه السلام .

وهم في هذا بين الغالي والجافي ، فترى غلاة الشيعة يلعنون معاوية وعمرو بن العاص وبني أمية ، فضلا عن الشيختين وسادات الصحابة الكرام ، ويرتكبون الحماقات في إظهار الحزن على آل البيت مما صاروا به ضحكة عند الناس وسبّة ، حتى نقل الموسوي

أن ياسين الهاشمي رئيس الوزراء العراقي في عهد الاحتلال الإنجليزي للعراق، عندما زار لندن للتفاوض مع الإنجليز لإنهاء عهد الانتداب، قال له الإنجليز: نحن في العراق لمساعدة الشعب العراقي كي ينهض بالسعادة وينعم بالخروج من الهمجية.!

فأثار هذا الكلام ياسين الهاشمي، وخرج من غرفة المفاوضات غاضباً، غير أن الإنجليز اعتذروا منه بلباقة، ثم طلبوا منه بكل احترام أن يشاهد فيلماً وثائقياً عن العراق، فإذا به فيلم عن المواكب الحسينية في شوارع النجف وكربلاء والكاظمية، تصور مشاهد مروعة ومقرضة عن ضرب القامات والسلال، وكان الإنجليز قد أرادوا أن يوصلوا له رسالة مضمونها: هل تعتقد أن شعباً مثقفاً له من المدينة حظ قليل، يعمل بنفسه هكذا؟

وعلى النقىض تجد من أهل السنة قدّيماً من ناصب آل البيت العداء، وإن كان هذا النصب لا يكاد يوجد اليوم إلا نادراً والله الحمد، وإنما هو تاريخ مضى وانقضى لكنه يوجد اليوم بخفاء عند بعض السنة، وتجد من بعض غالة السلفيين من يتنصّب جهلاً، وقد سمعتُ بمصر خطيباً منهم يعتذر لجور وظلم الطغاة وقتلهم من ينكر عليهم ظلمهم وجورهم، بقتل الحسين سلام الله عليه.!

حتى إنه قال بملء فيه: ماذا يفعل يزيد وقد جاءه الحسين ليتزرع
ملكه ، هل يستقبله بالورد ، ليس له خيار سوى قتله .!

وأهل السنة وسط بين إفراط الروافض في إكفار بنى أمية ولعنهم ،
فهم يرون أن منهم كيزيدَ ولاة جور ، نبراً إلى الله من جورهم
وفسقهم ، كما قال الإمام أحمد (وهل يتولى يزيد أحدٌ يؤمن بالله
واليوم الآخر) .؟

وسأله عبد الله عنه فقال: يستحق اللعن ، فقال له: ولم لا تلعنه؟
قال: ومتى سمعت أباك يلعن أحداً؟

فإنه وإن لم يباشر قتل الحسين عليه السلام ، فقد رضيه ولم
يسخطه ، بل روي أنه أنسد حين بلغه مصرعه :

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهَدُوا ... جَزَّاعَ الْخَرْجِ فِي وَقْعِ الْأَسْلَ
فَأَهَلُوا وَأَسْتَهَلُوا فَرَحًا ثُمَّ قَالُوا لِي هُنَيَا لَا تسلُ
حِينَ حَكَتْ بِفَنَاءِ بَرْكَهَا وَاسْتَحْرَرَ القَتْلُ فِي عَبْدِ الْأَسْلَ
قد قتلنا الضعف من أشرافكم ... وَعَدَلَنَا مَيْلَ بَدْرٍ فَاعْتَدَلَ

قال مجاهد: نافق فيها، والله ثم والله ما بقي في جيشه أحد إلا تركه أَيْ: ذمَّهُ وعابه، حَكَاهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي (تاریخه).

وعن أحمد رواية أنه لا يُترحَّم عليه ولا يُلْعَن، وهي التي اختارها أبو العباس بن تيمية وجده أبو عبد الله ابن الخضر وعبارته: (اذكر يزيد ولا تزيد).

وذلك لخدمتهم العامة للإسلام في العلم والفتح وغيرهما، فلا نشتعل بذنبهم إذ هو شأن النَّوْكَى، ومن هنا قال الرياشي النحوي كما أخرجه الحافظ أبو القاسم بن عساكر في (تاریخه) عن ابن دريد قال: كنا في حلقة الرياشي، فتذاكروا حديثبني أمية وخاضوا فيه، والرياشي ساكت، ثم قال:

لعمرك إن في ذنبي لشغلاً .. بنفسي عن ذنوببني أمية ذنبي كلها أخشى رداتها ولا أخشى ذنوبهم عليه فليس بضائري ما قد أتوه..... إذا ما الله أصلح ما لديه على ربي حسابهم إليه تناهى علم ذلك لا إليه فأهل السنة وسط بين هؤلاء الروافض الغلاة، وبين النواصب الذين أفرطوا في الاعتدار ليزيد الطاغية حتى في قتل الحسين عليه

السلام، وتناسوا وصيحة النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم في آلـ البيت أو كادوا، كما قال الفارسي:

حب اليهود لآل موسى ظاهر... ولاؤهم لبني أخيه بادـ
وكذا النصارى يُكرمون بحبهم... لمسيحهم نجراً من الأعوادـ
فمتى يوالـي آلـ أحمدـ مسلمـ قتلـوه أو سـمـوه بإـلـحادـ
لم يحفظـوا حقـ النبي محمدـ في آلـه واللهـ بالمرصادـ
وحتـى آذـوا في ذلكـ بعضـ أهلـ العلمـ، كما آذـى غـلاـةـ الحنـابلـةـ
بيـغـدادـ الإـمامـ أـبـا جـعـفرـ بنـ جـرـيرـ حـينـ صـنـفـ (الـغـدـيرـياتـ) وـقـتـلـ
نوـاصـبـ الشـامـ النـسـائـيـ حـينـ صـنـفـ (خـصـائـصـ عـلـيـ) وـغـيرـ ذـكـ،
وـأـوـذـيـ الـحـافـظـ أـبـو عـبـدـ اللهـ الـحـاكـمـ لـتـشـيـعـهـ حتـىـ اـسـتـترـ.

وـحـكـىـ الـحـافـظـ أـبـوـ القـاسـمـ بـنـ عـسـاـكـرـ فـيـ (تـارـيـخـهـ) عـنـ أـبـيـ سـلـيمـانـ
بـنـ زـبـرـ قـالـ: اـجـتـمـعـتـ أـنـاـ وـعـشـرـةـ، مـنـهـمـ أـبـوـ بـكـرـ الطـائـيـ، نـقـرـأـ
فـضـائـلـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ فـيـ جـامـعـ دـمـشـقـ، فـوـثـبـ إـلـيـنـاـ نـحـوـ المـائـةـ
مـنـ أـهـلـ الـجـامـعـ يـرـيدـونـ ضـربـنـاـ، وـأـخـذـ وـاحـدـ مـنـهـمـ يـلـحـقـنـيـ، فـجـاءـ
بعـضـ الشـيـوخـ إـلـيـ وـكـانـ قـاضـيـاـ فـيـ الـوقـتـ، فـخـلـصـونـيـ مـنـ أـيـديـهـمـ،

وعلقوا أبا بكر الطائي فضربوه، وعملوا على أنهم يسوقونه إلى الشرطة في الخضراء.

فقال لهم أبو بكر: يا سادة إنما كنا في فضائل علي، وأنا أخرج لكم غداً فضائل معاوية أمير المؤمنين، واسمعوا هذه الأبيات التي قلتها، وأنشاً يقول بداتها:

حب عليٌ كلَّهُ ضرب يرجم من خِيفته القلبُ
فمذهبِي حب إمام الهدى ... يزيد والدين هو النصبُ
مَنْ غير هذا قال فهو امرؤُ مخالفٌ ليس له لُبٌّ
والناسُ مَنْ ينقد لأهوائهم يسلَمُ وإلا فالقفا نهبُ

فخلّوه وانصرفوا، قال أبو سليمان: فقال لي الطائي: والله، لا سكنت دمشق، ورحل منها إلى حمص.

واستمرأ بعضاًهم صنيعَ الأمويين بأهل البيت حتى ذهب إلى تقريره كما زعم ابن خلدون أن الحسين قُتل بسيف جده! حكاه الحافظ ابن حجر في (رفع الإصر) عن شيخه أبي الحسن بن أبي بكر وأنه لعن ابن خلدون، ثم قال الحافظ: (ولم توجد هذه الكلمة في

التاريخ الموجود الآن، وكأنه كان ذكرها في النسخة التي رجع عنها) وادعى الغماري أن قائلها هو القاضي أبو بكر بن العربي وهو غلط نقضناه عليه في موضع آخر.

قال الحافظ: (والعجب أن صاحبنا المقرizi كان يفرط في تعظيم ابن خلدون لكونه كان يجزم بصحة نسببني عبيد ، الذين كانوا خلفاء بمصر وشهروا بالفاطميين إلى علي ويخالف غيره في ذلك ، ويدفع ما نُقل عن الأئمة في الطعن في نسبهم ، ويقول: إنما كتبوا ذلك المحضر مراعاة لل الخليفة العباسi ، وكان صاحبنا يتتمي إلى الفاطميين فأحبَّ ابنَ خلدون لكونه أثبت نسبتهم ، وغفل عن مراد ابن خلدون ، فإنه كان لأنحرافه عن آل علي يثبت نسبة الفاطميين إليهم ، لما اشتهر من سوء معتقد الفاطميين ، وكون بعضهم نسب إلى الزندقة ، وادعى الألوهية كالحاكم ، وبعضهم في الغاية من التعصب لمذهب الرفض ، حتى قتل في زمانهم جمع من أهل السنة).

وقد عُلم أن عداء الأمويين كان مستحكماً لآل البيت عليهم السلام ، حتى إن منهم من يعتقد أنهم شركوا في دم عثمان حاشاهم ، كما قال الوليد الفاسق:

بني هاشم رُدوا سلاحَ ابنِ أختكمْ... ولا تنهبوه لا تحلّ مناهبه
بني هاشم كيف الهوادةُ بيننا.....وعند عليٍ درعه ونجائبه

فإِنْ لَمْ تَكُونُوا قَاتِلِيهِ فَإِنَّهُ.....سَوَاءٌ عَلَيْنَا قَاتِلُوهُ وَسَالِبُهُ
هُمُ قَاتِلُوهُ كَيْ يَكُونُوا مَكَانَهُ...كَمَا غَدَرْتُ يَوْمًا بِكَسْرِيْ مَرَازِبُهُ
ذَكْرُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ وَقَالَ: (حَاشَا اللَّهُ وَمَعَاذُ اللَّهُ وَأَبَى اللَّهِ أَنْ
يَكُونَ عِنْدَ عَلَيِّ سَلْبٍ عُثْمَانَ وَدَرْعَهُ وَنَجَائِهِ كَمَا قَالَ الْوَلِيدُ
الْكَاذِبُ، وَمَعَاذُ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ عَلَيِّ قَتْلَ عُثْمَانَ لِأَنْ يَكُونَ مَكَانَهُ أَوْ
لَشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَعَلَيِّ أَتَقَى اللَّهُ مِنْ أَنْ يَقْتَلَ عُثْمَانَ، وَعُثْمَانَ أَتَقَى
لَهُ مِنْ أَنْ يُقْتَلَهُ عَلَيِّ).

وقد ذكر ابن العماد الحنبلي في (تاريخه) عن نصر بن مجلبي ،
وكان من أهل السنة أنه رأى علي بن أبي طالب في النوم ، فقال
له : يا أمير المؤمنين ! تفتحون مكة فتقولون من دخل دار أبي سفيان
 فهو آمن ، ثم يتم على ولدك الحسين يوم الطف ما تم ؟
قال : أما سمعت أبيات ابن صيفي - هو حيص بيص - في هذا
المعنى ؟ فقلت : لا ، قال : اسمعها منه ، فاستيقظت وأتيت دار
الحicus بيص فذكرت له المنام ، فشهق وبكي ، وحلف أنها ما
خرجت من فمه لأحد ، ولم ينظمها إلّا في ليلته ، ثم أنسدني :
ملَكُنَا فَكَانَ الْعَفْوُ مَنَا سُجْيَةً ... فَلَمَّا مَلَكْتُمْ سَالَ بِالدَّمِ أَبْطَحْ
وَحَلَّلْتُمْ قَتْلَ الْأَسْرَى وَطَالَمَا...غَدُونَا عَلَى الْأَسْرَى نَمْنَ وَنَصْفَ
فَحَسِبْكُمْ هَذَا التَّفَاوُتُ بَيْنَا وَكُلَّ وَعَاءٍ بِالذِّي فِيهِ يَنْضَحْ

وقد غدا الاعتذار ليزيد الطاغية ونحوه من ولاة الجور سنةً سيئةً
يحتذىها من يعتذر اليوم للطاغية من الحكام كما تقدم ، وما
صنعه المختار الكذاب من القتل بالظنة بدعوى التأثير للحسين ، قد
صار سنة قبيحة للروافض في الجور والظلم والإمعان في الفتك
بأهل السنة.

ومن عجبٍ أن بعض السنة يدفعه بغض الشيعة إلى إنكار الثابت
من السنن كحديث الغدير ، وخبر الحوائب ، وحديث الولاية
وخبر الثقلين وغير ذلك من الآثار الثابتة ، ووضع بعض النواصِب
أيضا في ذلك بعض الأخبار التالفة كالاكتحال يوم عاشوراء رد
فعل تجاه غلو الشيعة !

وبالغوا فرروا في التوسيعة على العيال بالنفقة وإظهار الفرح في
عاشوراء حديثا نقل عن الإمام أحمد أن قتلة الحسين وضعوه ،
وقال الحافظ ابن رجب في (اللطائف) : (وأما التوسيعة فيه على
العيال فقال حرب : سألت أحمد عن الحديث الذي جاء : من وسَّع
على أهله يوم عاشوراء ، فلم يره شيئا ، وقال ابن منصور : قلت
لأحمد : هل سمعت في الحديث : من وسَّع على أهله يوم عاشوراء

أوسع الله عليه سائر السنة، فقال: نعم رواه سفيان بن عيينة عن جعفر الأحمر عن إبراهيم بن محمد عن المتنشر، وكان من أفضل أهل زمانه أنه بلغه: أنه من وسع على عياله يوم عاشوراء أوسع الله عليه سائر سنته، قال ابن عيينة: جربناه منذ خمسين سنة أو ستين سنة فما رأينا إلا خيراً، وقول حرب إن أَحْمَد لِمَ يَرُه شَيْئاً إِنْمَا أَرَادَ بِهِ الْحَدِيثُ الَّذِي يَرُوِي مَرْفُوعاً إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ لَا يَصْحُّ إِسْنَادُهُ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدةٍ لَا يَصْحُّ مِنْهَا شَيْءٌ، وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْحَكْمِ، وَقَالَ الْعَقْبَلِيُّ: هُوَ غَيْرُ مَحْفُوظٍ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ مِنْ قَوْلِهِ وَفِي إِسْنَادٍ مَجْهُولٍ لَا يَعْرُفُ)

وفيه بحث، وقد جمع طرقه العراقي في جزء وجذم بصحته، وصححه السيوطي ونقل تصحيحة عن الحافظ أبي الفضل بن ناصر، وكذا صححه الغماري وهو منه عجب على غلوه في التشيع، لكنه لا يرى الملازمة بين صحته من مجموع طرقه وبين نفس التوسعة في ذلك اليوم، كالصوم فيه.

وبإذائهم قوم من السنة راجت عليهم بعض شبّهات الرافضة
لقصور مداركهم، حتى غدا محامياً عن باطلهم بالباطل، فتراه
يرمي مالكاً والبخاريَّ ونظراهما من الأئمة بالنسب بدعوى أنّهم
لم يُخْرِجوا من حديث آل البيت إِلَّا الشيءَ بعده الشيءَ!

وقد عُلِمَ أنّهم إنما أَقْلَلُوا الرواية عنهم لكثره الكذب عليهم حتى
عدم الناقد البصير التمييز فيه، كما قال ابن عباس وقد جيء له
بصحيفة فيها أقضية علىٰ، فقال: (وَاللَّهِ مَا قَضَى بِهَذَا عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ
يَكُونَ قَدْ ضَلَّ).!

ولما ورد الشاه طهماسب، وهو من غالة الشيعة بجيشه إلى
العراق، وأشرف على بلاد الكرد كتب إلى السيد العلامة حسن
البرزنجي الموسوي يزعم أنه ناصر مذهب جده جعفر الصادق
عليه السلام، وأنه يروم إحياء العمل به، فكتب إليه السيد حسن
بأنه لا يعلم لجعفر مذهب محرر مدون، ولو وجد لكتلت أولى
باتباعه إذ نحن ذريته وأخص الناس به، وما زعمته من حب العترة
الطاهرة فلعمري إن كان مشوباً بسب الأصحاب فالويل لك يوم
الحساب.

على أن حديث علي وآلـه منتشر في دواوين السنة كالمسند وغيره، ولأبي القاسم الطبراني وغيره (مسند علي) ولأبي جعفر الطبرـي وأبي عبد الله الحاكم وغيرهما في هذا المعنى أيضاً تواليف مبسوطة، وللسـيوطي (مسند فاطمة عليها السلام) وغير ذلك.

ومن طريف ما سمعته من شيخنا القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني أن بعض غلاة الشيعة الجارودية _الحوثيون_ أشاعوا على القاضي زيد الديلمي من علماء الزيدية أنه ناصبي يبغض علياً وآلها ولا يذكر فضائلهم في مجلسه!

فانحدر الدهماء منهم إلى مجلس الديلمي ومعهم السلاح وقد أجمعوا قتله، وكان الديلمي يقرأ على أصحابه في (صحيح البخاري) فلما رأهم تبّين الشرّ في وجوههم، فأمر أصحابه أن يكشفوا عن باب الفضائل من البخاري، واندفع يقرأً قول البخاري (باب مناقب علي وفاطمة عليهما السلام) فلما سمعوه أُسقط في أيديهم وتبيّنوا كذب ما أشيع عنه، فعادوا خائبين.

والعجب من بعض الغلاة ممن لا يعون موقع النصوص وتنزيلها على مقتضى الواقع والحوادث ، فيلهجون بذكر العراق وخراسان

بالنفاق ونبز أهلها به، وغبي عليهم ما بالمصرين من الخير والعلم والصلاح، وكنت بالشام إذا استأجرت (التاكسي) فسألني: من أين؟ فأقول: من العراق وتارة من بغداد، فيبادرني قائلاً: بلد النفاق، ووقع لي هذا بمصر غير مرة، وإنما تلقفوا هذا من أفواه قصاص السلفيين!

ويعجبني ما حكى عن الإمام الأعظم أبي حنيفة أنه لما دخل المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، سأله بعض المتفقهة فيها: أعرaci أنت؟ قال: بلى. فقالوا: بلد النفاق! فقال: لا أعلم في كتاب الله أن العراق أرض النفاق، لكنني أقرأ قوله تعالى: (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق) فبهتوا.

وأذكر أن شاميًّاً ومصريًّاً قالا لي: قتلتم الحسين! فقلت له: وأهل الشام قتلوا عمار بن ياسر وحاربوا أبا الحسنين الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما رواه مسلم: (لَا يَغْضُبُكُ إِلَّا مُنَافِقٌ) وأهل مصر قتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكلاهما أعظم من قتل الحسين عندكم.

والمقصود أن هذه فتنه نهض بها أوباش كانوا بالعراق، كما أن قتل عمار كان بيد أوباش كانوا بالشام، وقتل عثمان بيد أوباش كانوا بمصر، فعلام يحمل وزرها أهل هذه الأمسكار من أهل السنة دون ذنب، وفيهم من الخير والفضل ما هو معلوم مستفيض، وقد قال تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى)؟ وبه تعلم تهافت من يرمي بلاد الشام وأهلها بالنسب مطلقا، وتهافت من يرمي العراق وأهله بالرفض مطلقا.

ولاريب أن غلو الشيعة في حب آل البيت وبغضبني أمية قد أزرى بهم وشنع، لكن الحق أن أهل السنة قد لحقهم عار وشnar من بعض من رام الاعتذار ليزيد والأمويين وتقرير أعمالهم ولو بجحد الحق وتقوية الباطل، كما هو ظاهر في بعض ما كتبه القاضي أبو بكر بن العربي في (العواصم) وتبعه وزاد عليه الأستاذ محب الدين الخطيب والدكتور عبد الحليم عويس وبعض حنابلة نجد عفا الله عنا وعنهـم.

وقد حكى لنا بعض خطباء العراق أنه عمل مولدأ حاضر فيه الدكتور أحمد الكبيسي فnal فيه من معاویة، فاعترضه فاضل ممن

بالمجلس ، فرد عليه الكبيسي بكلام غليظ فج ، وسأل الشيخ خليلًا الفياض قائلاً: بالله عليك يا شيخ أليس أهل السنة يسبون علياً؟ فقال الفياض: أنا ابن ستين سنة ، أسمع فساقهم يسبون الرب جل وعلا ، ولم أسمعهم يوماً يسبون علياً !

وقد كان أهل العلم من أهل السنة يحولون دون فتك سفهائهم بالشيعة ، كما وقع في فتنة الطقطقي السني ببغداد الذي عدا هو وغلمانه على الشيعة بالكرخ ، فاستشفع الشيعة بشيخ الشافعية أبي نصر بن الصباغ حتى كف شرهم ، مع أن الشيعة قد اعتدوا قبل ذلك على ابن الصباغ وسرقوا منه عمامته في الطريق ، فما بالنا اليوم وقد عدا المدعو (أبو كرار) و(أبو درع) وغيرهما من أجلاف الشيعة ومردتهم على سنة العراق ، و مليشياتهم تلغ في دماء الأبرياء من السنة بالشام ، ولم نر في عقلائهم من صنع ما صنعه ابن الصباغ .

بل الذي شاهدناه خلاف ذلك حتى إنهم منعوا الناس من الصلاة في المساجد فضلاً عن تحريقها وتخريبها وقتل المسلمين بها ولا سيما أئتها ، ولما قدم العلماء بجثمان العلامة عبد الكريم

زيدان للصلوة عليه بجامع الإمام الأعظم، لم يشهد الصلاة عليه إلا القليل، فحكي أن عبد الهادي العامري قائد فيلق بدر قال للشيخ رافع الرفاعي: أين أهل السنة؟ يموت عالمكم ولا تشهدون الصلاة عليه؟ فقال له: أسأل شرطتك وعصابتك الذين منعوا الناس وأرهبوا عن شهود جنازة عالمهم، فبُهت.

والحاصل أن التقارب بين السنة والشيعة لا يمكن ولا يتصور مطلقاً، إلا إذا عاد مذهب الشيعة الأولى منقحاً من البدع والخرافات كالتطبير والمواكب الحسينية الدخيلة عليه، وأصل بدعة التطبير وضرب الزناجيل والقامات الذي يصنعه الشيعة في هذه الأيام العاشرية من كاثوليك العصور الوسطى في مدينة بيزانسون الفرنسية، وذلك بعد غزو القفقازيين لأوروبا وإمعانهم في قتل النصارى حتى فشا الطاعون وما ت منه الآلاف، واعتقد الناس أنه بسبب اليهود وسحرهم الأسود (الكابala) فصاروا يتبعون اليهود ويقتلونهم في مواكب مشتملة على طقوس علنية في شوارع المدينة ضرباً بالزناجيل، حال كونهم حفاة متجردين من الثياب!.

ثم اختلس هذه البدعة بعض آيات التشيع وأدخلها إلى بلاد القفقاز ، وصار من بها من الشيعة يمشون في يوم عاشوراء حفاة بالشوارع يضربون أنفسهم بالزناجيل ، مبالغة في إظهار الحزن على الحسين عليه السلام.

ثم تسرّبت منهم إلى أترالك أذربيجان من الشيعة ، ثم منهم إلى إيران ، ثم إلى العراق في آخر القرن التاسع عشر كما قاله السيد إبراهيم الحيدري في كتاب (تراجيديا كربلاء) ثم كان السفارات البريطانية في بغداد وطهران تموّل هذه المواتكب العاشورية بغرض استمالة آيات الشيعة إليهم إبان غزو العراق وهو ما حصل.

وقد أفتى السيد محسن الأمين العاملبي بتحريم هذه المواتكب وما يقع فيها من البدع والخرافات ، وأيده السيد أبو الحسن الموسوي ، حتى إنه استنكر هذه الحماقات وهو يشاهد بكرباء هذه المواتكب التي تسيل منها الدماء بزعمهم على الحسين عليه السلام وقال : (ولهم من جهلة أغبياء ، يفعلون بأنفسهم هذه الأفاعيل لأجل إمام هو الآن في جنة ونعيم) .؟!

وقال الحافظ ابن رجب في (الطائف المعارف): (وأما اتخاذه - يوم عاشوراء- مائما كما تفعله الرافضة لأجل قتل الحسين بن علي رضي الله عنه فهو من عمل من ضل سعيه في الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن صنعا، ولم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مائما فكيف بمن دونهم).

والمقصود أن على عقلاء الشيعة إصلاح ما دخل مذهبهم من الطقسنة الصفوية التي شابتة، فإن الصفوية قد حرصت على دق عطر منشَّم بين السنة والشيعة بحيث غدا التقارب بينهم شبه المستحيل، مثل إحياء ما يسمونه باستشهاد فاطمة، والمواكب التي يتطلع فيها ضخم الدسيعة لتمثيل دور عمر راكبا على حمار وهم يضربونه لإدراك ثأر الزهراء، وطعن نعجم حمراء وبعجها بزعم أنها عائشة، والمسيرة العباسية، ومظاهر السادومازوخية للعترة الطاهرة غير ذلك مما يغرس في نفوس عوام الشيعة استشعار مطلومية أهل البيت وتأصيل الحقد على السنة.

ومثل ترديد شعارات شبيهة بشعارات الأنجلو صهيونية في القرون الوسطى كما قاله إبراهيميان في (تاريخ إيران) مثل قولهم:

(فلنجعل كل شهر محرم، وكل يوم عاشوراء، وكل مكان كربلاء)
ولا ريب أن حكام إيران يعملون على إحياء ذلك في عوام الشعب
وينفقون عليه النفقات التي لا تحصى، بقصد صرف أنظار الناس
عن القضايا الداخلية من الفقر والبؤس واحتكار الملاي
وحواشيهم للسلطة والجاه والمال.

هذا عدا ما في المذهب من الطعن على رجالات الإسلام بما لا
يبقى معه إسلام أصلاً، بل تطور الأمر عندهم إلى نبذ أمير
المؤمنين علي عليه السلام، تارة بالجن، وأخرى بوصفه بأوصاف
متضادة كالغلو في معارفه إلى حد الألوهية، ووصفه بعزم البطن
وبشاعة الشكل حتى نقلوا ذمه على لسان فاطمة عليه السلام لكونه
لم يسع في حقها من الإرث..!

ومن طرائف ما سمعناه: أن بعض عشائر العيساويين بالعراق
اجتمعوا لبعض شأنهم، وكان في بعض بطونهم من انتحل
التشيع فاختلفوا إلى حد الافتراق، فقال الشيعة منهم: أنتم
تبغضون علياً عليه السلام ولا تحبونه! فانتدب من سنتهم رجل

مسن من أعيانهم وقال: أيّ عليّ تريدون؟ علينا أم عليّكم؟
فعجبوا المقالته.

فقال: علينا أسد الله الغالب فارس المشارق والمغارب، وعليّكم
الجبان الذي فرط في حقه بالخلافة، وكسر ضلع امرأته فجين ولم
يثير لها، وجيء به مكرهاً ليما يبع بالقهر، وزوج ابنته من عمر
غصباً، فأبلسوا ولم يحر واحد منهم جواباً.

أنبأني بهذه الحكاية الحاج عبد الهادي العيساوي رحمه الله،
وكان قد حضر الواقعة وأنها كانت في مجلس الشيخ حسناوي
شيخ مشايخ البو عيسى.

والإشكال أن كثيراً من المرجعيات الشيعية قد تطورت إلى
شخصيات أنجلوسكسونية، فهي مزيج من الشعور بالظلمومية مع
الإغراء في العصبية للقومية الفارسية، واستضعف المرجعية
الشيعية العربية بل احتقارها باستحضار التاريخ لأنهم خذلوا
الحسين وأهله، وأنه لو كان بفارس ما خذلناه مثلما صنعتم معه،
بدعوى أنه صهرنا وختتنا لأنه كما حكى باقر المجلسي نكح
شهربانو ابنة يزدجرد!

وقد ذكر لنا بعض المطلعين على تقارير المخابرات إبان حكم البعث، أن السيد صادق الصدر لما أفتى بوجوب الجمعة والجماعة في التسعينيات، أنكر عليه بعض مراجع قُمُّ، لأنه خالف أصلهم في امتناع الجماعات والجماعات في حكم الإمام الجائر، فحرر رسالة إليهم مضمونها أنه إنما أفتى بذلك سياسة لحشد جماهير الشيعة في المساجد بغرض الإعداد لثورة على نظام البعث.

فأبلغ نظام الملالي بإيران نظامَ البعث بذلك وأطلعه عن رسالة الصدر بغرض تصفيته وتهيئة مرجع فارسي للحوزة، لما كان يتمتع به الصدر من الاستقلالية ونبذ التابعية لمراجع قم، فتمت تصفيته.

ولا ريب أن بعض من يغلو من السنة على الشيعة، يذكر ما يستهجن التشيع به من مظاهر الغلو والشرك والبدع التي مر ذكر بعضها، فيندفع لتبهئة جماهير السنة وحشدها وتأليب عواطفها تجاه الشيعة، باعتباره مذهبًا أسطوريًا مزيجاً من الهندوكيّة والصوفية، ويُساعدُه على ذلك مقالات الخميني وأتباعه الغلاة،

فيحصل من الفتن ما لا تحمد عواقبه، والعجب أن هذا التهبيج والحسد كان قد تم الإعداد له بإحكام في القنوات الإعلامية ولا سيما قبل غزو العراق، في المناظرات التي عقدتها قناة المستقلة ونحوها، فما زال نظام صدام حتى كانت تعبئة الجماهير السنوية والشيعية للفتنة قد استحكم وبلغ منهم المُخنقَ !

ومع هذا تدارك العقلاً الأمر بادئ ذي بدء، لكن إيران أبت إلا الفتنة، فحركت أذرعها الحزبية بالعراق لإحداث ما به تستيقظ الفتنة النائمة، كتججير المرقددين وحادثة جسر الأئمة وغيرها.

وبكل حال فلا أقل من التعايش بين الفريقين، وهو ممكناً بل يفرضه الواقع والتاريخ ومقاصد الشارع، لكن ميليشيات إيران وعصاباتها تحول دون ذلك، والأيام دول وإنما المطلوب حسم هذه الطائفية التي يتذرع بها إلى سفك دماء الفريقين، فإذا تولى السنة أمعن غلاتهم في قتل الشيعة، وإذا تولى الشيعة أثخنوا في السنة، فمتى يقيض الله عاقلاً يحسم الأمر بالعفو والصلح على وفق الهدى النبوى: (اذهبا فأنتم الطلقاء).؟

وأما الأكل مما يقدمه الشيعة بعاشوراء من طعام كالهريسة ونحوها، فلا بأس به لأنه نظير ما يذبح الله ويهدى ثوابه للآيات من قريب ونحوه، وفي تفسير العالمة ابن عاشور: (وأما ما يذبحه سودان بلدنا بنية أن الجن تشرب دمه ولا يذكرون اسم الله عليه زعماً بأن الجن تفر من نورانية اسم الله فالظاهر أنه لا يجوز أكله وإن كان الذين يفعلونه مسلمين ولا يخرجهم ذلك عن الإسلام، وقال ابن عرفة في (تفسيره) الأظهر جواز أكله لأنه لم يهـل به لغير الله).

ونظيره ما يذبحه الشيعة في عاشوراء فإنه يباح أكله لأنه لم يهـل به لغير الله، وإنما يذبحونه تقرباً لله ويهدون ثوابه للحسين عليه السلام، فهو كمن ذبح وأهدى ثوابه لوالديه، وهو مباح باتفاق المسلمين.

وبعد فالأمر كما قال السيد موسى الصدر رحمـه الله: (الطوائف نعمة والطائفـة نـقـمة) والله الحمد، والحكم والأمر من قبل ومن بعد، يقضي ما يشاء ويفعل ما يريد، لا رادّ لأمره ولا معقب لحكمـه، وصـلى الله وسلـم على سـيدنا مـحمد وعلـى آلـه وأـصحابـه.

كتبه

أبو جعفر بلال فيصل البحر

١٤٣٦ - بالقاهرة